دور ابن تيمية في مواجهة المغول الإيلخانيين وجهوده لتوحيد الصف الإسلامي

(158-169هـ/ 775-786م)

الدكتورة نرجس كدرو

قسم التاريخ -كلية الآداب والعلوم الإنسانية= جامعة إدلب

1- المقدمة:

مرّ تاريخنا الإسلامي بمراحل من الضعف نتيجة أزمات كثيرة عصفت به، ويأتي على رأس هذه المحن الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية، والتي كانت سبباً في ضعفه، وانكسار شوكة المسلمين نتيجة لذلك، وسقوطه بالنهاية على أيدي الغزاة المغول الذين استغلوا ضعف الحكام والأمراء وتناحرهم فيما بينهم؛ مما مكن أعداء الأمة من نهش أجزاء العالم الإسلامي الموحد وتمزيقه مدينة تلو أخرى، وما أشبه اليوم بالأمس، فقد أدى التناحر بين المسلمين إلى ضعفهم ومن ثم تمزيق كيان العالم الإسلامي إلى دويلات ضعيفة، أصبحت لقمة سائغة بيد الأعداء.

ولم يقف التخاذل عند الحكام والأمراء فقط؛ بل وقف كثير من العلماء موقف المتفرج إزاء ما يحدث للعالم الإسلامي، ولم يحركوا ساكناً أمام القادم الجديد، إما لضعفهم، أو خوفاً على مصالحهم، رغم ما للعلماء من أهمية كبيرة فالأمة بحاجة إليهم لسد الثغرات، ويقف على عاتقهم النهوض بالأمة وتقدمها. وبالمقابل هناك كثير من العلماء الذين جاهدوا بأرواحهم وأنفسهم من أجل الحق وشاركوا الناس وحثوهم على تغيير الواقع الفاسد، ومن أمثلة هؤلاء العلماء الشيخ المجاهد ابن تيمية موضوع البحث الراهن، والذي تولى زمام المبادرة فقام بتبيان الاعوجاج ووضع الخطط لمحاربة المغول، والتف حوله الناس، لصدق مواقفه، فلم يخش في الحق لومة لائم، حيث ناصح الحكام، والأمراء، وواجه المغول بكل جرأة وقوة، كما قاد بنفسه عملية الجهاد ضد المغول، وكان على ثقة بالنصر

لأن الروح الجهادية التي جمعت المسلمين كانت كفيلة بتحقيق النصر على الاعداء، ومكنت المسلمين من إعادة ثقتهم بنفسهم.

وتبرز أهمية البحث في إلقاء الضوء على شخصية العالم الشيخ ابن تيمية ودوره في مواجهة غازان خان المغول الإيلخانيين، وهذا هو دور العلماء في كل زمان ومكان فهم حملة الرسالة ورمز الأمان للمجتمع وبصلاحهم صلاح للأمة، وحماية لها من الفتن، ومن خلال البحث سنستعرض لدور ابن تيمية في تحفيز المسلمين وتشجيعهم على محاربة المغول ، وجهوده الكبيرة في توعية الناس للخطر المغولي ومناصحته للحكام المماليك في الدفاع عن دمشق لأنها صمام الأمان لمصر، وكيف استطاع أن يحول هزيمة وادي الخزندار إلى انتصار كبير حققه في موقعة شقحب، فكان هذا النصر مبعث للتفاؤل في أن إرادة الأمة الإسلامية لا تقهر وبأن الوحدة هي من أهم شروط نهضة الأمة من جديد.

2- ابن تيمية "حياته ونشأته":

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله تقي الدين أبو العباس المعروف بابن تيمية ، ولد في حران **10** ربيع الأول **661هـ/ 1263م**، أما عن سبب تسميته بابن تيمية فيقال: أن أمه كان اسمها تيمية وكانت واعظة فنسب إليها **(1)**، كما قيل في سبب تسميته بهذا الاسم أن جده محمد بن الخضر حج على درب تيما فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً فقال: يا تيمية، يا تيمية فلقب بذلك، وقيل أن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها**(2)**.

عاش ابن تيمية في حران إلى أن بلغ سبع سنين، وبعد ذلك قدم مع والده وأهله إلى دمشق، حين استولى المغول على بلاد حران وجاروا على أهلها**(3)**، فهاجرت أسرته التي كانت عريقة في العلم، إلى دمشق خوفاً من زحف التتار وجورهم، وكان أثمن متاعها الكتب التي نقلتها معها رغم ما واجهته من صعوبات في طريقها**(4)**. وعندما استقرت أسرته في دمشق، تولى الشيخ عبد الحليم والد ابن تيمية مشيخة الحديث السكرية وفيها كان مسكنه، وفيها تربى ولدة تقي الدين ابن تيمية **(5)**، وكان لِجَو حران أثره في

ابن تيمية من حيث صفاء الطبع ونقاؤه، وصلاح السلوك واستقامته، بالإضافة إلى حرارة الدفاع عن الدين(6)، كما نشأ في دمشق أتم إنشاء، وأنبته الله نباتاً حسناً، وكانت مخايل النجابة والذكاء لائحة عليه منذ صغره(7)، وقد وصفه علماء عصره بالاجتهاد، وبأنه كان سيفاً صارماً على المبتدعين آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وقد أثنوا عليه وسموه بشيخ الإسلام، وأفردوا ذكره بالتصانيف وتحلت بذكره التواريخ والتآليف(8). كما عرف بغزارة علومه، ومعرفته بعلم القرآن المجيد، واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه، إضافة إلى معرفته بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه، ووقائعه وغزواته، وسراياه وبعوثه، وما خصه الله تعالى من كرامات ومعجزات، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، والمنقول عن الصحابة في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم(9).

3- صفات ابن تيمية:

كان ابن تيمية من أشجع الناس و أقواهم قلباً، ولا أعظم عناء في مواجهة العدو منه، يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف في الله لومة لائم(10)، ونتيجة لمواقفه تلك فقد امتحن ابن تيمية وأوذي عدة مرات، وحبس بقلعة مصر والقاهرة والاسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين، وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سنة **728هـ/ 1328م (11)**.

كما عرف أيضاً بدقة حفظه؛ ودليل ذلك أنه لما كان في محنته الأولى في مصر، حيث سجن وعذب وحيل بينه وبين كتبه، صنف عدة كتب صغاراً وكباراً، وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث، والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدثين، والمؤلفين، ومؤلفاتهم، وعزا كل شيء إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، واسم الكتاب، وفي أي موضع هو فيها، كل ذلك بديهة من حفظه دون خلل، أو تغير، ومن جملتها كتاب الصارم المسلول على شتائم الرسول(12).

ولما اتسعت شهرته وفاق أقرانه مع ما هو عليه من استقلال الفكر والجرأة في القول، كثر مناظروه ومنافسوه وانتقدوا عليه أموراً خالفهم فيها، منها قوله: إن طلاق الثلاث إذا صدر في جلسة واحدة هو طلاق رجعي، بمنزلة الطلقة الواحدة، ونهيه عن

زيارة القبور والتوسل بأصحابها، فنازعهم، ونازعوه، وأبلغوا أمره إلى أحكام السلطنة في مصر، وتمت مناظرته ومحاكمته، وحبس في قلعة الجبل، سنة ونصف، ثم أخرج من سجنه وعاد إلى دمشق، وبعد فترة أعيد إلى مصر وحبس في برج الاسكندرية مدة ثمانية أشهر حيث تمت تبرئته، وأقام في القاهرة مدة، ثم عاد إلى دمشق ، كما عاد فقهاء دمشق إلى مناظرته فيما يخالفهم فيه وتقرر حبسه في قلعة دمشق ثم أفرج عنه بأمر من السلطان محمد بن قلاوون، ووصل إلى دمشق في آخر سنة **712هـ(13)**.

عاش ابن تيمية كما ذكرنا في فترة الغزو المغولي للعالم الإسلامي، ونشأ عالماً تقياً اقترن قوله بفعله حيث جاهد المغول بلسانه وسيفه وجعل كلمة الحق هي الفصل في جميع تحركاته وقبل أن نستعرض مواقف ابن تيمية من الغزو المغولي لابد لنا من التعريف بالمغول

4- المغول وغزوهم للعالم الإسلامي:

المغول هم طائفة من التتار؛ نشأوا في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا، شمال صحراء جوبي، وهي تمتد من أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت، وغربي منشوريا، وشرق التركستان، بين جبال ألتاي غرباً، وجبال خنجان شرقاً، وقد ظهر اسم المغول منذ بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، عندما استطاع أحد زعمائهم المسمى تيموجين أن يوحد منغوليا، ويوحد المغول تحت لوائه، ويتلقب بجنكيز خان أي الملك الأعظم، ويزحف على شمال الصين **612هـ/ 1215**م، ويستولي عليها، ويتخذ من قراقورم عاصمة له**(14)**، وقد امتدت فتوحاته إلى العالم الإسلامي بعد أن جاورت أملاكه أملاك الخوارزميين**(15)**، وقد نجح بالقضاء على دولة خوارزم وما تلاها بعد ذلك من بلاد الإسلام في إيران وآسيا الصغرى وبلاد القفجاق والبلغار حتى وصلوا أخيراً إلى بغداد بقيادة هولاكو حفيد جنكيز خان656هـ/ **1258م** وقتلوا الخليفة المستعصم وأزالوا الخلافة العباسية**(16)**. ونتج عن هذا الزحف المغولي قيام امبراطورية ضخمة شملت معظم أنحاء آسيا تم توزيعها بين أبناء جنكيز خان، امتدت شرقاً إلى الصين ومنشوريا وغرباً إلى بلاد الشام والبحر المتوسط وحتى نهر الدانوب وشمالاً إلى بلاد

الروس والبلغار حتى نهاية المعمورة التي تنحدر إلى بحر الشمال، وجنوباً إلى بلاد السند والهند(17).

5- دولة المغول الإيلخانيين:

أما المغول الإيلخانييون(18) فقد استطاعوا بقيادة هولاكو من القضاء على الخلافة العباسية، وذلك بعد أن دخلوا بغداد وهجموا على دار الخلافة، وقتلوا من كان فيها من الأشراف، ودام القتل والنهب في بغداد حوالي أربعين يوماً، ولم يسلم أحد من القتل إلا من كان صغيراً، حيث تم أسره(19)، وبذلك سقطت الخلافة العباسية التي استمرت خمسمائة وأربع عشرين سنة وكانت رمزاً لوحدة العالم الإسلامي(20)، كما أزالوا المعالم الحضارية والعلمية للمدينة في صفر 656هـ/ 1258م، وقتل آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ومعه حوالي مليون نسمة، وبعد سقوط بغداد أصبح الطريق إلى الشام مفتوحاً، واستباحت قوات هولاكو حلب 658هـ/ 1260م، حيث امتلأت الطرقات بجثث القتلى، وقيل إنهم أسروا زيادة على مائة ألف من النساء والأطفال، ثم دخل الغزاة دمشق، بعد فرار الناصر يوسف عنها في فبراير 1260م ، وتسلموها بالأمان وسلمت لهم بقية مدن شمال سوريا وقلاعها طوعاً أو عنوة فعاثوا فيها فساداً وقتلاً وتدميراً وبات الطريق إلى مصر مفتوحاً أمامهم(21)، إلا أن المماليك انتصروا على قائد هولاكو كتيوبوقا وقتلوا جميع جنوده، ولهذا الفتح العظيم الذي أوقع بشوكة هولاكو الوهن الكبير، أهمية كبرى في التاريخ لأن طريق مصر وبلاد افريقيا الإسلامية وجزيرة العرب من هذا التاريخ انسد أمام المغول، فلم يصلوا إلى نتيجة بعدها برغم سعيهم الحثيث لنيل هذا المقصود(22). كما أحكم المغول سيطرتهم على إيران والعراق وأسسوا دولة مغولية تتاخم حدود الشام ومصر عرفت باسم دولة إيلخانية فارس أو مغول فارس(23)، وهي التي حكم فيها هولاكو وخلفائه من بعده، حتى انتهاء أسرتهم في إيران، وقد حكمت مستقلة لقلة علاقاتها مع خانات بلاد المغول، ولأنها لم تحكم بأحكام بلاط قراقورم(24).

ويعتبر غازان من أهم حكام المغول الإيلخانيين، وهو الابن الأكبر لأرغون خان، ولد يوم الجمعة 29 ربيع الأول 670هـ/ 1271م(25)، ويعتبر غازان هو موضوع البحث ففي فترة حكمه حصلت المواجهات بينه وبين ابن تيمية، حين قام غازان بالاستيلاء

على دمشق، وكيف تصدى ابن تيمية لهذا الهجوم، من خلال توحيد الصف الإسلامي، وجهوده الكبيرة لإيقاف الزحف المغولي، بداية من معركة وادي الخزندار، وانتهاءً بانتصار شقحب.

6- معركة وادي الخزندار وموقف ابن تيمية من الغزو المغولي:

عاش ابن تيمية كما ذكرنا من قبل في فترة الغزو المغولي للعالم الإسلامي، وقد أصاب الدولة الإسلامية الضعف والتخلف نتيجة زوال هيبة الخلافة العباسية، ومن ثم سقوطها، وزوال وحدة الأمة الإسلامية، وتصارع الأمراء على الجاه والسلطة**(26)**. وكان لابن تيمية دور كبير في التصدي لخان المغول غازان؛ وذلك عندما قصد غازان الشام لمحاربة المسلمين([27])، حيث أقامه الله في نوبة غازان، وقام بأعباء الأمور بنفسه**(28)**، ففي سنة **699هـ/1299م** كانت فتنة غازان ملك التتر**(29)**، وقد خرج السلطان الناصر محمد من مصر، إلى دمشق، بعساكره إلى لقاء غازان، ولم يتخلف عنه أحد من الجيوش، ولما وصلوا إلى حمص، شرعوا يرسلون إلى العرب ويخبروهم بمجيء العدو، الذي وصل إلى وادي الخزندار، عند مدينة السلمية**(30)**، وحدثت مواجهات بين المسلمين والمغول، وحملت ميسرة المسلمين على التتار فكسرتهم أقبح كسرة، وقتلوا منهم نحو خمسة آلاف، ولم يقتل من المسلمين إلا اليسير، ثم حمل قلب المسلمين أيضاً حملة هائلة وصدموا المغول أعظم صدمة، وثبت كل من الفريقين ثباتاً عظيماً، لكن حصل بعد ذلك تخاذل في عسكر المسلمين بعضهم من بعض، فانهزمت ميمنتهم بعد أن كان قد لاح لهم النصر، وألقى الله الهزيمة عليهم فانهزم جميع عساكر الإسلام بعد النصر**(31)**.

وكان من أسباب الهزيمة التي لحقت بالمسلمين، هو ما شاع عند العامة معرفتهم بأن ملك التتر مسلم، وأن غالبية جيشه قد أظهروا الإسلام، فأصابهم شيء من التردد في جواز قتالهم ([32]). إن ما فعله المسلمون من خوفهم في محاربة غازان لأنه مسلم فيه بعض الخطأ، وكان من الأفضل محاربته بكل قوة، لأن غازان هو المعتدي، وهو من بادر بمحاربة أهل الشام طمعاً في توسيع أملاكه على حساب المماليك، حتى إن

إسلام غازان كان الهدف من ورائه دافع سياسي حتى يستميل قلوب المسلمين في المناطق التي تحت سيطرته.

وبعد هذه الهزيمة انعزل السلطان الناصر في جمع قليل من المماليك، وكان يبكي وينظر إلى السماء ويقول: يارب لا تجعلني كعب شؤم على المسلمين**(33)**. ولقد أصاب أهل الشام رعب عظيم حينما علموا بهزيمة جيش السلطان، ولكن خفف من رعبهم أن غازان مسلم وأن غالبية جيشه من المسلمين، ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب، وكان التتر قد غنموا سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلباً للنجاة، فاشتد صراخ أهل حمص، وصاحوا بالعسكر الله الله في المسلمين، وأما غازان فإنه نزل بعد هزيمة العسكر إلى حمص، وبها الخزائن السلطانية، وأثقال العسكر، فأخذها وسار إلى دمشق بعد أن امتلأت أيدي أصحابه بأموال جليلة القدر**(34)**، هذا وأهل دمشق قد وقع بينهم وقت الظهر من يوم السبت أول ربيع الآخر ضجة عظيمة فخرجت النساء باديات الوجوه، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم وخرجوا من المدينة**(35)**، ولما نزل غازان بظاهر دمشق تعرض الأرمن الذين معه إلى جبل الصالحية، فخربوا ما فيه من الجوامع والمساجد والبساتين**([36])**. وهذا الأمر لم يحدث في عهد غازان فقط ؛ بل حدث في عهد من سبقه من حكام الإيلخانيين كأباقا وغيرهم، حيث تمتع المسيحيون بامتيازات كبيرة لدى الحكام المغول، فاستغل بعض الناقمين على المسلمين من المسيحيين تسامح المغول معهم، فقاموا بمهاجمة المسلمين والفتك بهم، وبممتلكاتهم كما حدث مع الأرمن**([37])**.

وكان أهل دمشق قد استسلموا لغازان، لخوفهم الشديد على أموالهم وأنفسهم وأهليهم، وخاصة بعد أن انسحبت الجيوش السلطانية عائدة إلى مصر**([38])**.

وأثناء ذلك اجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد علي من الجامع الأموي واتفقوا على المسير إلى غازان، لتلقيه ولأخذ الأمان منه لأهل دمشق، وذلك في يوم الاثنين 3ربيع الآخر **699هـ/1299م**، فقابلوه في النبك أثناء طريقه للاستيلاء على دمشق**(39)**، وقد اجتمع ابن تيمية بغازان مرتين، كما اجتمع بنائبيه، وظهرت من خلال ذلك شخصيته السياسية، حيث تميز بجرأته على المغول وحدته في

الحديث معهم حتى كأنه ليث حرب**(40)**، حيث قال لترجمانه: قل للقآن أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاض وإمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟، وقد قال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل، وقد قرب التتار إليه طعاماً فلم يأكل منه ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟ ثم إن غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه:" اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك، فانصره، وأيده، وملكه البلاد، والعباد، وإن كان قام رياءً وسمعةً، وطلباً للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله واقطع دابره" وكان غازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه، وقد قام الناس الذين معه بجمع ثيابهم خوفاً من أن تتلوث بدمائه، إذا أمر بقتله**(41)**.

كل هذه الأمور السالفة تدلل على مدى جرأة ابن تيمية في قول الحق وإيمانه بعدالة الإسلام، ولم يخش إلا الله وهذا يتضح من خلال الدعاء الذي دعاه، متحدياً بذلك غازان وطالباً العون من الله على التخلص منه دون خوف من سلطته وجبروته وما قد ينجم عن ذلك من مخاطر، كذلك استبساله في الدفاع عن الشام وأهلها، وبذله روحه فداءً لها، مخاطراً بحياته من أجلها. وهذا هو بالفعل الدور الحقيقي الذي يجب أن يقوم به رجال الدين، فهم دعاة الحق في كل زمان، وقد زرعت كلماته تلك، الخوف في نفوس بعض أصحابه، ويتضح ذلك من مخاطبة قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرى وغيره لابن تيمية حين قال له: كدت أن تقتلنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال ابن تيمية: والله وأنا لا أصحبكم، قال: فانطلقنا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومن معه جماعة من أصحابه فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب غازان، فأتوا يتبركون بدعائه، أما أولئك الذين لم يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم**(42)**.

وهنا أرسل غازان لأهل دمشق كتاب الأمان، كما أصدر فرماناً ذكر فيه؛ بأنه أعلم الأمراء والأكابر، وأشراف السادات العظام، والمشايخ الكرام والمعتبرين، أنه في كل زمان يقتضي الدوران يرسل الله تعالى نبياً لهداية العالم، و دلالة الإنسان إلى طريق

الصـواب، ولما ظهر الوهن في شـريعة المسـلمين، وأقدم الناس على العصـيان، قيض الله شخصـاً يقوي الأمور الدينية، وقدر الله أن يكون غازان هو الذي هو من أبناء جنكيز خان الذي اعتنق الإسـلام و كيف أنه أمر ببناء المسـاجد، ونصـب المنابر، وإقامة الصـلاة، و إيتاء الزكاة، وعندما سـمع بأن أهل الشـام ومصـر لا ميثاق لهم، ولا أمانة، ولا ديانة، و يأخذون من أموال المسـلمين فلذلك توجه لديارهم لدفع الحركات الرديئة البادية فيهم**(43)**. يحمل خطاب غازان في طياته قمة الإهانة للمسـلمين، وهذا بالفعل يدل على ضـعفهم في تلك الفترة وعلى تناحرهم فيما بينهم، الأمر الذي جرأ غازان على أن يتفوه بهذه الكلمات الجارحة بحق المسلمين عامة، وبحق أهل الشام خاصة، وخصوصاً بعد انسحاب الجيش المملوكي، وبقاء دمشق بلا حاكم يقف إلى جانبها، مما دفع غازان ليتحدث بقوة وجرأة لأنه الأقوى والمتحكم بأمور دمشـق، كما أراد أن يُظهر المماليك بأنهم خرجوا عن الشـريعة الإسلامية، وتهاونوا في تطبيق الأوامر الإلهية، وانحرفوا عن جادة الصواب، فاظهر غازان نفسه بمظهر الغيور على الدين الإسلامي، وسوغ بذلك لنفسه محاربة المماليك.

وفي يوم السبت وصل إلى دمشق الأمير إسماعيل التتري ومعه جماعة من التتار واجتمعوا بالناس في الجامع الأموي وقُرِئ عليهم نص الأمان من غازان، كما شمل الأمان للناس كافة حتى اليهود والنصـارى، ثم وصـل غازان إلى دمشـق في عاشـر ربيع الآخر **699هـ/ 1300م** وعاثت عساكره في غوطة دمشق فساداً**(44)**، حيث انتشر عسـاكر المغول طولاً وعرضـاً، وذهب للناس من الأهل والمال والمواشـي مالا يحصـى عدده**(45)**، ثم خطب لغازان في مساجد دمشق يوم الجمعة 14ربيع الآخر من نفس السنة وجاء في ألقابه السـلطان الأعظم سـلطان الإسـلام والمسـلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان وقُرِئ على الناس في الجامع الأموي تقليد الأمير قبجق**(46)** بلاد الشام كلها وسائر الأعمال**(47)**، وبعد ذلك شرع المغول في نهب الصـالحية وقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين وفعلوا بالمزة وداريا ما فعلوه بالصـالحية، وخرج ابن تيمية في جماعة من أصـحابه يوم الخميس العشـرين من ربيع الأول إلى غازان وعاد بعد يومين، ولم يتفق اجتماعه به فقد حجبه عنه الوزير سـعد الدين والرشـيد مشـير الدولة المسـلماني ابن يهودي**(48)**، وكان الذي دفع ابن تيمية للقاء غازان مرة أخرى ليشـكو له ما فعله التتار بأهل دمشـق بعد أمانه**(49)**.

أما قلعة دمشق فقد امتنع نائب القلعة الأمير علم الدين سنجر المنصوري المعروف باسم أراجوش عن تسليم القلعة، وتقدم إليه قبجق وبكتمر السلاح دار وطلبا إليه تسليم القلعة وقالا له: دم المسلمين في عنقك إن لم تسلمها فأجابهما: دم المسلمين في أعناقكما أنتما اللذان خرجتما من دمشق وتوجهتما إلى غازان وحسنتما له المجيء إلى دمشق وغيرها، وفي **11** ربيع الآخر **699هـ/ يناير 1300م(50)** ورد مرسوم من الأمير إسماعيل بأن العلماء والقضاة والأكابر يتحدثون مع أرجواش ويحسنون له تسليم القلعة وإلا نهب التتار المدينة وقتلوا أهلها كافة(**51**). فاجتمع عدد كبير من الناس وأرسلوا إلى الأمير أرجواشي تسليم القلعة إلا أنه رفض طلبهم في تسليم القلعة، وأرسل إليه الشيخ ابن تيمية يقول: لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت فلم يجب ارجواشي مطالبهم واعتصم بالقلعة(**52**)، واشتد خوف الناس وحصنوا الدروب والمسالك وشرع التتار في نصب المجانيق على سطح الجامع الأموي القريب من دمشق فعلم بذلك أرجواشي وأرسل جماعة من الشجعان هاجموا الجامع فجأة وأفسدت المنجنيق، وكان التتار قد اتخذوا الجامع الأموي خانة، يزنون، ويشربون الخمر فيه، وعطلت فيه الصلاة في بعض الأوقات، ونهب التتار ما حول الجامع من السوق، فأرسل أرجواشي رجلاً من عنده وقتل المنجنيقي المغولي ومن حوله من التتار، وعاد إلى القلعة سالماً ولجأ أرجواشي إلى تحصين موقعه فأمر بهدم ما حول القلعة من العمائر والبيوت فهدمت حتى لا يستتر بها العدو وقت القتال(**53**)، وقد أعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها(**54**). وهكذا نجح هذا القائد في حماية القلعة من هجوم المغول، نتيجة إصراره وتصميمه على حمايتها، رغم جهود كل الخانعين للمغول بتسليمها، لكنه أصر على حمايتها حتى لو كلفه هذا الأمر حياته، كما كان لنصيحة ابن تيمية له الدور الأكبر في تثبيته على الصمود والجهاد حتى ولو لم يبق حجر واحد فيها، فكانت هذه الكلمات الرائعة لابن تيمية دافعاً وحافزاً للحفاظ عليها من غدر المغول.

وبعد ذلك توجه السلطان غازان نحو بلاد العراق وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل وكان قد عزم على العودة في الخريف إلى الديار المصرية وفتحها، وقد ضربت البشائر في القلعة فرحاً برحيلهم ولم تفتح القلعة(**55**)، لكن حدث للناس في دمشق تخبط

كبير، ونهب الناس بعضهم بعضاً، ومنهم من ألقى نفسه في النهر، ولم يتبق أحد في البلد فنادى اراجوش في المحافظة على الأسوار، وأن يخرج الناس ماعندهم من أسلحة، ولا يتبق أحد في داره إلا على السور، ومن بات في داره شنق فاجتمع الناس على الأسوار للمحافظة على البلد، وكان ابن تيمية يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد(56) كما كان له فضل كبير من حيث قيامه بسائر أنواع الخير من إنفاق الأموال وإطعام الطعام، ودفن الموتى(57)، وقد افتدى كثيراً من أسرى المسلمين الموجودين عند المغول، وبعد رحيل غازان عن دمشق بمئة يوم أعيدت الخطبة لصاحب مصر، ففرح الناس بذلك، وقام ابن تيمية مع عدد من أصحابه بالتوجه إلى الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ففرح الناس بذلك(58). نلاحظ هنا مدى التفاني والإخلاص الذي قام به هذا الشيخ الجليل من حيث الدفاع عن دمشق، وفدائه الأسرى المسلمين، ودوره الكبير في إزالة مخلفات الغزو المغولي حين قام بالتوجه إلى الحانات، وحطم أواني الخمر التي انتشرت بكثرة عند دخول المغول، ولهذا الأمر دلالة كبيرة على أهمية رجل الدين الذي يرتبط قوله بعمله، والتأثير الذي يتركه في الحياة الاجتماعية ومشاركته الفعالة مع الناس في حماية بلده.

أما عن الأسباب التي دفعت غازان لدخول دمشق فقد بررها غازان من خلال المراسلات التي جرت بينه وبين السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون؛ تحدث فيها غازان عن الأسباب التي دفعته لمحاربة المسلمين في وادي الخزندار، وسبب ذلك؛ أن عساكر البلاد الشامية أغاروا على ماردين وبلادها، في شهر رمضان المعظم، فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها، وقتلوا وسبوا وفسقوا وهتكوا محارم الله بسرعة من غير مُهلة، فاستنجد أهل ماردين بغازان الذي قام بمحاربة المماليك نتيجة لذلك(59)، كما أن اختلاف أمراء المماليك حول السلطة شجع غازان على غزو الشام مستغلاً انشغال أمراء المماليك بأمور الحكم فشد عزمه على فتح مصر وضمها إلى أملاكه(60).

كما أورد ابن تيمية نصاً تحدث فيه عن أسباب هزيمة المسلمين أمام المغول وعقد مقارنة بين المغول وبين الأحزاب الذين وقفوا ضد رسول الله ﷺ ، كما ذكر في

رسالته الفتنة التي ابتلي فيها المسلمون من ظهور غازان المفسد والخارج عن شريعة الإسلام، والتي جرى فيها شبيه ما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نبيه والمؤمنين، وتحدث فيها عن قصة الأحزاب وما فعلوه مع النبي، ثم تحدث عن قصة التتار وعن فظاعة هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في جميع ديار المسلمين شررها ، كما كشر الكفر فيها عن أنيابه وأضراسه، وكاد عمود الكتاب أن يجتث، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتناكرت فيها قلوب المعارف والأخوان حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العليا، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى، وإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود، وكان هذا الامتحان تمييزاً من الناس وتقسيماً ليجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم. كما تحدث عن أسباب هزيمة المسلمين أمام التتار وهي نتيجة الذنوب الظاهرة، وفساد النيات، والفجور، والظلم، والإعراض عن حكم الكتاب والسنة ، والبغي على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والروم وكان عدوهم في أول الأمر راضياً منهم بالموادعة والمسالمة شارعاً في الدخول في الإسلام، وقد ابتلاهم الله بهذا العدو ليمحص الله الذين آمنوا وينيبوا إلى ربهم([61])

هذا الخطاب الملهم الذي أورده ابن تيمية فيه الكثير من المواعظ والعبر، التي تستلهم الحاضر وتستشرف المستقبل، ومن أهم هذه الأمور هو بعد المسلمين عن حياة الجهاد التي هي من أهم سمات المسلم، فقد كان ذلك العصر مليء بالفساد، كما مال الناس إلى حياة الدعة والهدوء التي أدت إلى وقوعه فريسة للغزو المغولي في ذلك الوقت، وكم من مصيبة أصابت العالم الإسلامي ظن بها الناس أنها نهاية الدنيا وأنها من علامات القيامة لكنهم تجاوزوا هذه الأزمات بالاتحاد والإصرار على الخلاص من هذه الهزائم، وذلك عن طريق محاربة الأعداء الذين أحاطوا بهذه الأمة، وأيضاً ذكر ابن تيمية

أن من أسباب الضعف تفرق كلمة المسلمين وانشغالهم بمصالحهم الخاصة على المصلحة العامة وهذا حال المسلمين اليوم من تفرق الكلمة والانقسام الجغرافي والطائفي الذي أطمع أعداء المسلمين بهم، واجتمعوا على نهشه وتشرذمه ورغم كثرة عدد المسلمين إلا أنهم قوة مشـــتتة ضـــعيفة، ولو أنهم اجتمعوا ووحدوا صـــفوفهم لعادوا قوة عظمى كما كانت في السابق، ولكنهم رضوا لأنفسهم بالخذلان وتآمروا على بعضهم البعض، فكان ذلك سبباً في ضعفهم الذي جرأ عليهم عدوهم ليفعل بهم ما شاء.

كما ذكر الحميدي أنه لما قدم العدو ويقصد بهم المغول قال بعض المنافقين: ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم فينبغي الدخول في دولة التتار، وقال بعض الخاصة ما بقيت أرض الشام تُسكن بل ننتقل عنها، وقال بعضهم بل المصلحة والاستسلام. وقد علق على ذلك بقوله: والفرار من القتل كالفرار من الجهاد، والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك في الدين والدنيا(62). وهكذا فإن ابن تيمية اسـتطاع بجهوده الكبيرة من أن يوحد أهل الشـام، وذلك حين وقف إلى جانب صـاحب قلعة دمشـق وتحريضـه الناس على مواجهة العدو والرباط في هذه المدينة حتى يتم التخلص من المغول.

7- مقدمات نصر شقجب ودور ابن تيمية في التحريض على جهاد المغول

بعد هزيمة المماليك في وادي الخزندار أمام غازان؛ رجعوا إلى مصر استعداداً لمحاربته ثانياً(63) ، وفي ســنة **700هـ/1300م** كثرت الأراجيف بدمشــق، ووصــلت الأخبار من الشــرق أن غازان، قد جمع حوله الجموع قاصــداً القدوم إلى مصــر، وإنه سيقصد بداية الشام وهنا خاف أهل الشام، وهرب الكثير منهم إلى مصر والكرك والشوبك، خوفاً من هجوم المغول(64)، وهنا جلس الشــيخ ابن تيمية بمجلســه في الجامع وحرض الناس على القتال، وســاق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإســراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المســلمين وبلادهم وأموالهم، وأوجب قتال التتار حتماً في هذه الكرة، ونودي في البلاد ألا يســافر أحداً إلا بمرســوم أو ورقة فتوقف الناس عن المسير وسكن جأشهم(65)، وعند ذلك تجهز السلطان الناصر، وجمع العساكر المصــرية للقاء العدو(66)، وأراد هو واتباعه جمع الأموال للإنفاق على العســاكر، فبعث نائب السـلطنة سـلار إلى القاضـي ابن دقيق العيد، بفتوى الشـيخ عز الدين عبد السـلام

للملك المظفر قطز بأن يؤخذ من كل إنســـان دينار عندما تحرك لمحاربة هولاكو، وطلب من ابن دقيق العيد أن يكتب عليها فتواه ليقوم بجمع الأموال من الناس، ولكن ابن دقيق العيد امتنع، فشق ذلك على سلار، واستدعاه وجمع الأمراء، وشكا إلى ابن دقيق العيد قلة المال، وأن الضـــرورة قد دعت إلى أخذ مال الرعية لدفع العدو، ولابد من كتابة القاضـــي بجواز ذلك، فقال له: لا أكتب شـيئاً فاحتجوا عليه بفتوى العز عبد الســلام: فقال إن عبد الســلام لم يكتب لقطز، حتى أحضــر ســائر الأمراء جميع ملكهم من الذهب، والفضــة، وحلي النســاء والأولاد بين يديه، ورآه وحلف كل منهم لا يملك سوى ما أحضـره، فلما علم أن ذلك غير كاف ولا يســـمح بتجهيز العســـاكر أفتى حينئذ بجواز دفع دينار عن كل شخص، أما الآن فبلغني أن كل واحد من الأمراء له مال جزيل، فقام عنهم، فطلب ناصر الدين محمد بن الشـيخي متولي القاهرة، أن ينظر في أموال التجار والناس الميسورين وأن يأخذ منهم حسب استطاعتهم، وقد استطاعوا جمع الكثير من المال(**[67]**).

وقد غلب الظن على أهل الشـــام أن عســـكر مصـــر قد تخلى عنهم(**[68]**)، وخصـــوصـــاً عندما وصـــل جيش المغول إلى البيرة، ونودي في البلد أن تخرج العامة مع العســاكر، وقنت الخطيب ابن جماعة في الصــلوات كلها، واتبعه أئمة المســاجد، وأشــاع المرجفون أن التتر وصـــلوا إلى حلب، وأن نائب حلب تقهقر إلى حماة(**[69]**)، ووصـــلت الأخبار بأن السلطان الناصر رجع إلى مصر، بعد أن خرج منها قاصداً الشام(**[70]**)، وكان الناس لما بلغهم أن بدمشـق عودة السـلطان الناصـر اشـتد خوفهم، وخرج معظمهم يريدون القاهرة، ونودي في دمشـق أنه من بقي فيها بعد هذا النداء فدمه في عنقه، ومن عجز عن السفر فليتحصن بقلعة دمشق، وغلت الأسعار، وقد خلت البلاد الشامية من أهلها(**[71]**).

وفي هذه الظروف الصــعبة التي مرت بها الشــام يبرز دور ابن تيمية الذي لم يقف مكتوف الأيدي تجاه ما يحدث، بل قام بدوره على أكمل وجه ليس كرجل دين فقط هدفه النصــح والإرشــاد بل كمقاتل ومحارب هدفه الدفاع عن البلد وأهله بكل ما أوتي من قوة.

حيث خرج إلى نائب الشـــام، وكان مرابطاً مع الجنود في المرج، فثبتهم وقوى جأشـهم، وطيب قلوبهم، ووعدهم بالنصـر والظفر والنصـر على الأعداء، وبات ليلة عند العســكر([72])، ثم ســاق في البريد إلى القاهرة يحرض الناس على الجهاد([73])، وقد دخل القاهرة واجتمع بأركان الدولة واستصرخ بهم ([74])، كما خاطبهم بقوله إن كنتم أعرضتم عن الشام وأهله أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن، ثم قال لو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه ولا استنصركم أهله وجب عليكم النصر فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم([75])، وقد ذكر الآيات والأحاديث وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب، فاستفاقوا وقويت هممهم([76])، وبعد ذلك جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعاً عامه ذلك لضـعف جيشـه وقلة عددهم فطابت النفوس لذلك وسكن الناس، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق وقد كان مخيماً في المرج مدة أربعة أشهر ([77]).

حاول غازان أن يطلب الهدنة من ســـلاطين المماليك حتى يتمكن من إعداد قواته، وأرسل إلى نائبه في الشام سيف الدين قبجق، أن يتحدث مع الناصر قلاوون بهذا الشأن([78])، ووصلت رسل غازان إلى دمشق، وحمل ثلاثة منهم إلى مصر لمقابلة السلطان الناصر، وقد أكرموا غاية الإكرام، ثم قابلوا السلطان الناصر وسط مظاهر الأبهة والفخامة التي أظهرها المماليك، كما خطب قاضي الموصل خطبة بليغة في معنى الصلح واتفاق الكلمة، ورغب فيه، وقدم الرسل كتاباً مختوماً من غازان، وتضمن هذا الكتاب الأسباب التي دفعت غازان لدخول الشام وهي إفساد جيش الناصر لأطراف بلاده وهذا ما دفعه لدخول الشـــام، وقد رجع عن هذه البلاد حتى لا تخرب، وأنه مســـتعد للحرب، ودعا للصلح**([79])**، وقام الناصر بالرد على رسالة غازان، وقد فند فيها ادعاءات التتار وكذبها، وأن أمراؤه وجنوده لم يقوموا بالهجوم على ماردين بل فعلها بعض المفسدين من ليس لهم علاقة به**([80])**، وأثبت فيها أن التتر هم البادون بالعدوان على المســـلمين، وعاب عليه ما فعله بدمشق، وتخريبه للمساجد، وختم رسالته أنه مستعد للصلح إذا جنح غازان للسلم**([81])**، وذكر في رسالته أيضاً محاولات غازان الاستنجاد بالكرج والنصارى والأرمن لمساعدته ضد المسلمين، لعدم مقدرته على مواجهتهم بنفسه، وأن المسلمون خسروا في المرة الأولى لمعرفتهم أن غازان مسلم**([82])**، لكن الصلح لم يتحقق ووصل الخبر بأن غازان عزم على

قصد الشام ، وأن مقدم عساكره الأمير بولاي قد قارب الفرات، وأن الذي أرسله من الرسل خديعة، فعند ذلك شرع السلطان في تجهيز العساكر(83)، وضربت البشائر بقلعة دمشق، وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان من مصر، ووقعت معركة بأرض عرض بين المسلمين والتتار انتهت بانتصار المسلمين، وأسر الكثير من التتار(84)، وكان عدد المسلمين نحو ألف وخمسمائة والتتار أضعافهم ثلاث مرات وكانت هذه الطائفة هي التي هاجمت القريتين وعاثت فيها فساداً(85). وكان الانتصار الإسلامي في موقعة عرض مهم جداً في رفع الروح المعنوية عند المسلمين، فتشجعوا على قتال التتار بعد أن كانوا قد يئسوا من الهزيمة التي لحقت بهم من قبل في وادي الخزندار(86).

8- معركة شقجب وانتصار المسلمين702هـ/ 1303م

في **18** شعبان **702هـ** قدمت طائفة كبيرة من جيش مصر معهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير والأمير حسام الدين لاجين المعروف بالاستدار المنصوري ، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فقويت بهم قلوب أهل الشام(87)، ومن ثم توجه الجيش إلى بلاد الشام وتحالفوا على قتال العدو وشجعوا أنفسهم ونودي بالبلد أن لا يرحل أحداً فسكن الناس وتوجه ابن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة وكان يعمل على تشجيعهم ويبشرهم بالنصر وأن يعملوا على لقاء العدو ويقول لهم إنكم في هذه الكرة منصورون فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً وكان يتأول في ذلك في أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى:(ومن بغي عليه لينصرنه الله)، وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء من أي قبيل هو فإنهم يظهرون الإسلام وليسوا بغاة على الإمام فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه فقال: الشيخ تقي الدين هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي، ومعاوية، ورأوا أنه أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم وهم متلبسون بما هو أعظم منه أضعاف مضاعفة فتفطن العلماء والناس لذلك وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم(88).

ووصـل السـلطان الناصـر في يوم السـبت ثاني شـهر رمضـان عام اثنين وسـبعمائة، وعند لقاء الأمراء به ورد الخبر بوصـول التتار في خمسـين ألفاً مع قطلوشـاه نائب غازان، فلبسـوا السـلاح، واتفقوا قتال التتار عند شـقجب عند جبل غباغب وعند وصـولهم إلى هذا المكان صـفوا جيوشـهم، فصـف السلطان محمد بالقلب، وبجانبه الخليفة المستكفي بالله، ومشـى السلطان والخليفة ومعهم القراء يتلون القرآن، ويحثون على الجهاد ويشـوقون إلى الجنة، وصـار الخليفة يقول: يا مجاهدون لا تنظرون إلى سـلطانكم وقاتلوا عن دين نبيكم صـلى الله عليه وسلم، وعن حريمكم، والناس في بكاء شديد(89)، وقد طلب السـلطان الناصـر من ابن تيمية أن يقف معه في المعركة، فقال : السـنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام، لا نقف إلا معهم(90).

ولما تم الترتيب زحفت جموع التتار كقطع الليل بعد الظهر من يوم السـبت وأقبل قطلوشـاه بمن معه وحملوا على ميمنة المسـلمين وقاتلوهم فثبتت لهم وقاتلتهم قتالاً شديداً، وقتل عدد من أمراء المماليك فصاح سلار هلك والله أهل الإسلام، فأدركهم الأمراء من القلب ومن الميسرة وأبلى المسلمون في ذلك اليوم بلاءً حسناً، وعندما علم بولاي مقدم التتار بقدوم السـلطان الناصـر محمد بن قلاوون هرب من المعركة، فقام قطلوشـاه بتدبير أموره بمن معه، ونزلوا مشاة وفرساناً وقاتلوا العساكر، فبرزت المماليك السلطانية بمقدميها إلى قطلوشاه وجوبان وقاتلوهم قتالاً شديداً، تارة يرمونهم بالسهام، وتارة يهاجمونهم، وألحت المماليك السلطانية في القتال، واستقتلوا حتى انتصـف نهار يوم الأحد، وصـعد قطلوشـاه الجبل وقد قتل منهم نحو ثمانين رجلاً، وجرح الكثير، واشتد عطشـهم، ولما انتصـف نهار الاثنين نزل التتار من الجبل فلم يتعرض لهم أحداً، وساروا إلى النهر فاقتحموه، وعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسـلمين، وأيدهم بنصـره حتى حصـدوا رؤوس التتار، فعمت بشـائر النصر وتساقطت عبرات الناس وكان يوماً لم يشاهد مثله(91) . وبذلك استطاع المسلمون الانتصـار على المغول، بعد أن وحدوا صـفوفهم، فأحرزوا نصـراً كبيراً رفع من معنويات المسـلمين. وكان لموقعة شـقجب نتائج هامة منها أن التتار فقدوا آلافاً منهم بين قتيل وأسير، ولم يعبر قطلوشاه مقدم التتار الفرات إلا بعد قليل من أصـحابه، وعلم غازان ملك مغول فارس بهزيمة جيشه أمام السلطان الناصر محمد وقواته، فانتشر الحزن في بلادهم، إذ كان للهزيمة أثر سيء على أنفسهم(92)،كما إن غازان قد سقط مريضاً بعد هزيمته، ولم

يؤد علاجه إلى نتيجة، وقد اشـــتد عليه المرض في طريق العودة من الري إلى قزوين، فتوفي في **11** شوال**703**هـ/ **1303**م وقد بلغ الثلاث والثلاثين من عمره([93]).

9- الخاتمة:

إن ما وقع للمسلمين بعد هجوم غازان على الشام كان كفيلاً أن يقضي على عزيمة أبنائه ويُسقط دمشق تحت براثن المغول، لكن الله قيض لأهل الشام رجلاً وضع روحه على كفه وأخلص في الدفاع عن دمشق حتى آخر رمق، فكان مثالاً يحتذى لرجال الدين، فقد قام ابن تمية بإعادة النشـــاط والحيوية لأبناء الأمة الإســـلامية، وقاد عملية الإصـــلاح بنفســـه فكان القدوة لأبنائه الملتفين حوله، وذلك عندما نقل المجتمع من حالة الجمود والاستسلام للمغول إلى حالة المواجهة التي قادها بنفسه وعبأ الأفراد وحثهم على مواجهة العدو، ولم يكتف بذلك بل حثّ حكام المســـلمين على قيادة عملية الجهاد حين ذهب بنفسه إلى السلطان المملوكي محمد بن قلاوون وطالبه بالدفاع عن الشام وأهله، فقد كانت كلماته الحماسية سبباً في توجه السلطان مع جيوشه للدفاع عن الشام وتحقيق الانتصار على المغول.

وكم نفتقد في العصـــر الحالي لأمثال ابن تيمية، وخاصـــة عندما نجد حال العالم الإسلامي المحزن والحروب الكبيرة الواقعة بين أبنائه والتي دفعتهم إلى الارتماء في أحضان أعداء الأمة الإسلامية المتربصة بهم الدوائر، فكانت سبباً في تفرقهم وتشرذمهم وضـــياع هيبتهم، ولن تقوم قائمة للأمة الإســـلامية طالما ترزح تحت وطأة الذل والتفرق، ولن تنهض حتى يقيض الله لها من يقوّم اعوجاجها ويلم شملها وذلك من خلال قيام رجال الدين بدورهم الحقيقي في تصحيح نهجهم والنهوض بأبناء الأمة على الطريق الصحيح، حتى يمارس كل شـــخص الدور الحقيقي المطلوب منه، وأن يُعلموا أبناء الأمة أن الجهاد ضد الأعداء هو السبيل الحقيقي والوحيد لاسترداد ما سلب منهم، ولن يتم ذلك قبل أن تتحد الدول العربية والإسلامية وتنهض من ذل التفرق إلى حرية التوحد، والنصـــر الكبير على كل متربص بالمسلمين.

[1] - الذهبي(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز): تذكرة الحفاظ، **ط21**، دار المعارف العثمانية، تصوير: دار الكتب العلمية، القاهرة، **ص1496**، عمر بن علي البزار(أبي حفص)، الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد،**ط1**، دار الكتاب الجديد، بيروت، **1976**، **ص21**، عبد السلام الترمانيني: أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ، **ط1**، ، **مج2ج3**، طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق، **1994م، ص1248**.

[2] - مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي: ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، **ط2**، مؤسسة الرسالة، بيروت، **1985م، ص23**.

[3] - عمر البزار، المصدر السابق، **ص21**،عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص1248، محمد كرد علي: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، **ط2**، دمشق، **1391هـ، ص7**.

4 - أبي عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان: حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، **ط2**، مكتبة المنار، القاهرة، **2002م، ص9**.

[5] - أبي عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان: المرجع السابق، **ص9**.

[6] - سعيد عبد العظيم: منهج ابن تيمية التجديدي السلفي ودعوته الإصلاحية، **ط1**، دار الإيمان، الاسكندرية، **2004م، ص16**.

7 - عمر البزار: المصدر السابق، **ص21**.

8 - مرعي الكرمي الحنبلي: المصدر السابق، **ص5**.

9 - عمر البزار: المصدر السابق، **ص22- 24**.

10 - مرعي الكرمي الحنبلي: المصدر السابق، **ص63**.

[11] - الذهبي: تذكرة الحفاظ، **ص1497**، عبد الفتاح أبو غدة: العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج،**ط1**، مكتبة النهضة، بيروت، **1982م، ص100**.

[12] - عمر البزار: المصدر السابق، **ص24**.

[13] - الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، **ط1**، دار الكتب العلمية ، بيروت، **1998م، مج1، ص47**، عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، **ص1248**.

[14] - رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، **ص15-16**.

[15]- مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول، **ط2**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، **1999م، ص109**.

[16] - رجب عبد الحليم: المرجع السابق، **ص109**.

[17] - رجب عبد الحليم: المرجع السابق، **ص21**-22.

[18] - الإيلخانيون: يرجع اسم الإيلخانيين إلى كلمة إيل المغولية، والتي تأتي بمعنى المطيع أو الخاضع للخاقان، أو هو الذي يمثله و يدين له بالولاء، إن حكام المغول ابتداءً من هولاكو إلى ما بعده يطلق عليهم رسمياً الإيلخانيين، لأنهم استقلوا في إدارة الحكومة، ولم يكن لهم ارتباط بهم إلا في بعض الأشياء مثل الاشتراك في الاجتماعات الهامة، أو إظهار الطاعة، والولاء لبلاط القآن الذي يكون في الصين.(نرجس أسعد كدرو: موقف المغول الإيلخانيين من المذاهب والمعتقدات الدينية من وفاة هولاكو إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادر خان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، **2009م، ص85**).

[19] - أبو الفدا: "الملك المؤيد عماد الدين **ت 732هـ / 1331م**": المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، **ج3، ص** 233.

[20] - ابن سباط: تاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، **ط1**، جرس برس، طرابلس، **1993م، ص376**.

[21] - عادل هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، **ط1**،عين للدراسات والبحوث، القاهرة، **1997م، ص98-99**.

[22] - محمد علاء الدين منصور: تاريخ إيران بعد الإسلام، دار الثقافة، القاهرة، **1989م، ص439**.

[23] - شوكت حجة: روايات المؤرخين المعاصرين للغزو المغولي بين عامي **657- 699هـ/ 1259- 1300م** دراسة وتحليل، **ص692**.

[24] - محمد علاء الدين منصور: المرجع السابق، **ص443**.

[25] - رشيد الدين الهمذاني: التاريخ الغازاني من جامع التواريخ(تاريخ المغول)، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، **2005م، ص78**.

[26] - أبي عبد الله محمد بن رسلان: شيخ الإسلام ابن تيمية، **ص20**.

27 - اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، **ط 1**، دار الكتب العلمية، بيروت،**1997م، ج4، ص172**.

28 - الدمشقي الصالحي(أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي): العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: طلعت الحلواني، **ط1**،الفاروق للنشر، القاهرة، **2002م ، ص109**.

29 - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، **1991م، مج7، ص775**

30 - ابن تغري بردي الأتابكي(أبي المحاسن جمال الدين يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، **ط1**، دار الكتب العلمية، بيروت،**ج8، ص98**، العيني(بدر الدين محمود): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، **1992م، ص9-10**.

[31] - ابن تغري بردي: المصدر السابق، **ص98**،عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، **مج8،ج3**، ، دار الدعوة، الاسكندرية، **1998م، ص408**.

32 - ابن تيمية: الرسالة القبرصية، **ط2**، دار ابن حزم، مصر،**1990م، ص41**، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: المرجع السابق، **ص408**.

[33] - العيني: المصدر السابق، **ص15**، المقريزي: السلوم لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، **ج1، ق3،ص887**.

[34] - المقريزي: المصدر السابق، **ج1، ق3، ص888- 889**.

35 - المقريزي: المصدر السابق، **ص889**، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هانس روبرت رويمر، قسم الدراسات بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، **ج9، د.ت، ص18**.

36 - بيبرس المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد .س. ريتشاردز، **ط1**، بيروت، **19998م، ج42، ص331**.

[37] - عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، **1981م ، ص154**.

[38] - ابن كثير: البداية والنهاية، **ط2**، مكتبة المعارف، بيروت، **1990م،ج14، ص7**.

[39] - العيني: المصدر السابق، **ص29**، فايد حماد عاشور: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، **ط1**، جروس برس، لبنان، **1995م، ص316**.

[40] - الدمشقي الصالحي: المصدر السابق، **ص110**، محمد كرد علي: المرجع السابق، **ص22**.
[41] - محمد بهجة البيطار: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، **ط3**، المكتب الإسلامي، بيروت، **1986م، ص24**، محمد أبو زهرة : ابن تيمية (حياته وعصره، اراؤه وفقهه)، دار الفكر العربي، القاهرة، **1991م، ص34**، عبد العزيز الحميدي: المرجع السابق، **ص409-410**، إسلام الحسامي العبادي: سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية وحكاياته مع أبناء زمانه، **ط1**، دار ابن كثير، الأردن، **2006م، ص175- 176**.
[42] - إسلام العبادي: المرجع السابق، **ص176**.
[43] - بيبرس الدوادار، المصدر السابق، **ص 333-334**.
[44] - فايد عاشور: المرجع السابق، **ص316**.
[45] - اليافعي: المصدر السابق، **ص172**.
[46] - كان قبجق نائب المماليك في الشام، لكنه أعلن عصيانه على المماليك، وخرج من البلاد الحلبية بمن معه من الأمراء ومماليكه إلى غازان، وكان من ضمن الأمراء بكتمر السلاح دار، وألبكي، وبيغار، وسبب ذلك أنه ورده مرسوم سلطاني من حسام الدين لاجين ، يطلب منه أن يسلم لأمراء المذكورين، فهرب قسم منهم، وقسم آخر طلب من قبجق أن يلتمس لهم الأمان من السلطان، فأبطأ عليه السلطان بالأمان، ثم خشن عليه بعض أكابر أمراء دمشق، فعلم قبجق أن ذلك الكلام كان من قبل السلطان، فغضب وسار إلى ماردين، وهناك التقى بغازان الذي أكرمه مع أمرائه ومماليكه غاية الإكرام.(ابن تغري بردي: المصدر السابق، **ج8، ص79- 80)**
[47] - فايد عاشور: المرجع السابق، **ص316**.
[48] - ابن كثير: المصدر السابق، **ج14، ص8**.
[49] - المقريزي: المصدر السابق، **ص892**.
[50] - فايد عاشور: المرجع السابق، **ص316**.
[51] - العيني: عقد الجمان، **ص32**.
[52] - ابن كثير: المصدر السابق،**ج14، ص7-8**، فايد عاشور: المرجع السابق، **ص317**.
[53] - فايد عاشور: المرجع السابق، **ص316-317.**
[54] - ابن كثير المصدر السابق، **ص9**.
[55] - ابن كثير: المصدر السابق،**ج14، ص9**، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط، **ط1**، عالم الكتب، بيروت، **1992م، مج2، ص496**.
[56] - ابن كثير : المصدر السابق، **ص11**.
[57]- الدمشقي الصالحي: المصدر السابق، **ص109**.
[58] - ابن كثير: المصدر السابق، **ج14، ص11**.
[59] - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، **ج7**، المطبعة الأميرية ، القاهرة، **1918م، ص 242- 242**، محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، **ط2**، مؤسسة الرسالة، بيروت، **1982م، ص383- 386**.
[60] - فايد حماد عاشور: المرجع السابق، **ص312**.
[61] - الدمشقي الصالحي: المصدر السابق، **ص111-117**.
[62] - عبد العزيز الحميدي: المرجع السابق، **ص425، 428.**
[63] - عبد الله بن فراج بن صالح اليوسي الشهري: دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، **1416هـ، ص160**.
[64] - اليونيني: ذيل مرآة الزمان،، تحقيق: حمزة أحمد عباس، **ط1**، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، **2007م، مج2، ص456**، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، **ص35**.

[65] - ابن كثير: المصدر السابق، **ج14، ص12**، فايد حماد عاشور: المرجع السابق، **ص323**.
[66] - اليونيني: المصدر السابق، **مج2، ص456- 457**.
[67] - المقريزي: المصدر السابق، **ص897- 899**، عبد الله بن فراج بن صالح اليوسي الشهري: المرجع السابق، **ص160- 161**.
[68] - الدمشقي الصالحي: المصدر السابق، **ص110**.
[69] - ابن كثير: المصدر السابق، **ج14، ص14-15**.
[70] - أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، **ج4، ص58**، فايد حماد عاشور: المرجع السابق، **ص323**.
[71] - المقريزي: المصدر السابق، **ص909-910**.
[72] - عبد الله الشهري: المرجع السابق، **ص174**.
[73] - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، **ط1**، دار ابن كثير، دمشق، **1991م، ج7، ص794.**
[74] - ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، **ص794**، الدمشقي الصالحي: المصدر السابق، **ص110**.
[75] - ابن كثير: المصدر السابق، **ص15**، محمد موسى: المرجع السابق، **ص63**
[76] - الدمشقي الصالحي: المصدر السابق، **ص110**.
[77] - ابن كثير: المصدر السابق، **ص16**.
[78] - فايد حماد عاشور: المرجع السابق، **ص325**.
[79] - المقريزي: المصدر السابق، **ص915**، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، **ج8، ص110-111**.
[80] - ابن تغري بردي: المصدر نفسه، **ص115**.
[81] - فايد عاشور: المرجع السابق، **ص326**- 327.
[82] - ابن تغري بردي: المصدر السابق، **ص115**.
[83] - ابن تغري بردي: المصدر نفسه، **ص118**.
[84] - اليونيني: المصدر السابق، **ص687**.
[85] - اليونيني: المصدر نفسه، **ص388**.
[86] - فايد عاشور: المرجع السابق، **ص329**.
[87] - فايد عاشور: المرجع السابق، **ص329**.
[88] - ابن كثير: المصدر السابق، **ص23- 24**.
[89] - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، **ج8، ص126**، عبد العزيز الحميدي: المرجع السابق، **ص437**.
[90] - سعيد عبد العظيم: المرجع السابق، **26**.
[91] - المقريزي: المصدر السابق، **ص933-934**، ابن تغري بردي: المصدر السابق، **ص128-130**، عبد العزيز الحميدي: المرجع السابق، **ص437- 440**.
[92] - فايد حماد عاشور: المرجع السابق، **ص336**.
[93] - نرجس كدرو: المرجع السابق، **ص161- 162**.